ابْنُ الـهائِمِ الـمَقْدِسيُّ
الـمُعَلِّمُ الفَرَضيُّ
(753 ـ 815هـ)

أَعِزَّائِي وَأَحِبَّائِي:

ابْنُ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيُّ، الـمُعَلِّمُ الفَرَضيُّ، كَانَتْ إِلَيْهِ النِّهَايَةُ في عِلْمَي الفَرَائِضِ وَالـحِسَابِ، وَتَفوَّقَ بِـهِمَـا عَلَى عُلَمَـاءِ عَصْرِهِ، وَكَانَ الـمَرْجِعَ لأَهلِ زَمَانِهِ في هَذَيْنِ العِلْمَيْنِ، وَسَاهَمَ كَغَيرِهِ مِنْ عُلَمَـاءِ العَرَبِ وَالإِسْلامِ في ازْدِهَارِ العُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَبِشَكْلٍ خَاصٍّ عِلْمِ الـجَبْرِ، وَلا سِيَّمَـا أَنَّ ابْنَ الـهَائِمِ قَدْ بَرَعَ في عِلْمِ الفَرَائِضِ وَاشْـتَغَلَ بِهِ تَعْلِيْمـاً وَتَدْرِيْساً وَتَصْنِيْفاً، فَهُوَ مِنْ أَهَمِّ وَأَعْظَمِ الفَرَضِيِّينَ الَّذِيْنَ تَفَقَّهُوا بِـهَذَا العِلْمِ وَتَوَسَّعُوْا فِيْهِ، وَكَانَ لَـهُمْ يَدُ السَّبْقِ في بَعْضِ مَسَائِلِهِ.

وَلا يَـخْفَى مَا لِعِلْمِ الفَرَائِضِ مِنْ صِلَةٍ كَبِيْرَةٍ بِعِلْمِ الـحِسَابِ، بَلْ إِنَّ عِلْمَ الفَرائِضِ وَالـمَوَارِيثِ دَعَا عُلَمَـاءَ العَرَبِ وَالإِسْلامِ إِلَى وَضْعِ عِلْمِ الـجَبْرِ وَالاهْتِمَـامِ بِهِ، لأَنَّ طَرِيْقَةَ حَلِّ الـمَسَائِلِ الفَرضَيَّةِ، هِيَ طَرِيْقَةٌ رِيَاضِيَّةٌ وَجَبْرِيَّةٌ بَحتَةٌ، فَمِنْ عَبَاءَةِ عِلْمِ الفَرَائِضِ وَالـمَوَارِيْثِ خَرَجَ عِلْمُ الـجَبْرِ لِلْوُجُوْدِ.

لَـقَدِ اهْتَمَّ ابْنُ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيُّ بِعِلْمِ الـجَبْرِ اهْتِمَـاماً بَالِغاً، وَكَانَتْ لَهُ صَوْلاتُهُ وَجَوْلاتُهُ الـمُثْمِرَةُ في مِيْدَانِهِ، وَنَـهَجَ نَـهْجَ أَوَائِلِ العُلَمَـاءِ الَّذِيْنَ بَحَثُوا في هَذَا العِلْمِ كَأَبي عَبْدِ اللهِ الـخوارِزْمِيِّ، وَالكَرْخِيِّ، وَأَبِي كَامِلٍ الـمِصْرِيِّ، وَالـخَيَّامِيِّ وَغَيْرِهِمْ، وَبَذَلَ جُهُوْداً مُـمَيَّـزَةً في البَحْثِ وَالتَّـصْنِيْفِ بِـهَذَا العِلْمِ، وَكَذَلِكَ في الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيْقِ عَلَى أَبْحَاثِ وَمُصَنَّفَاتِ الـمُتَقَدِّمِيْنَ.

وَهُوَ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى في مَرْحَلَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ نِسْبِيّاً لِـمَرحَلَةِ نُشُوْءِ وَانْتِشَارِ عِلْمِ الـجَبْرِ، وَانْتِقَالِهِ إِلَى الأُوْرُبِّيِّينَ عَنْ طَرِيْقِ عُلَمَـاءِ الأَنْدَلُسِ، لَكِنْ ـ وَالـحَقُّ يُقَالُ ـ يُمَثِّـلُ حُقْبَةً هَامَّةً في تَارِيْخِ الـمَعَارِفِ الـجَبْرِيَّةِ وَالـحِسَابِيَّةِ إِلَى جَانِبِ عِلْمِ الفَرَائِضِ وَالـمَوَارِيْثِ الَّذِي بَقِيَتْ أَبْحَاثُهُ وَآرَاؤُهُ فِيْهِ أَيْضاً مَرْجِعاً لِلعُلَمَـاءِ حَتَّى عَصْرِنَا هَذَا.

وَالـمُؤَرِّخُوْنَ وَالبَاحِثُونَ مُـجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ ابْنَ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيَّ كَانَ مَوْئِلَ مُعَاصِرِيْهِ في الـجَبْرِ وَالـحِسَابِ، وَأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ طَرِيْقَتُهُ الـخَاصَّةُ في تَدْرِيْسِهِ وَتَعْلِيْمِهِ لِطُلَّابِهِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى التَّبْسِيْطِ وَالإِسْهَابِ في الشَّرْحِ، وَكَذَلِكَ عَلَى الـمُرُوْنَةِ وَاتِّبَاعِ أَسْهَلِ الطُّرُقِ وَأَيْسَرِهَا في حَلِّ الـمَسَائِلِ الـحِسَابِيَّةِ وَالـمُعَادَلاتِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الـجَبْرِيَّةِ، فَقَدْ تَوَصَّلَ إِلَى ابْتِكَارِ طُرُقٍ جَدِيْدَةٍ لَـمْ يَتَوَصَّلْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ العُلَمَـاءِ قَبلَهُ، حَتَّى أُولَئِكَ العُلَمَـاءِ الَّذِينَ ابْتَكَرُوا عِلْمَ الـجَبْرِ وَأَسَّسُوْا لَهُ.

وَمِـمَّـا تَـمَيَّزَ بِهِ ابْنُ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيُّ، ضُلُوْعهُ في شَرْحِ الأَرَاجِيْـزِ وَالـمُتُوْنِ الَّتِي

أَعَدَّهَا سَابِقُوْهُ في قَوَاعِدِ الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ وَالـحِسَابِ، وَقَدِ اسْتَفَادَ مِنْ شُرُوحِهِ هَذِهِ عُلَمَـاءُ الرِّيَاضِيَّاتِ بَعْدَهُ، وَالَّذِيْنَ تَتَلْمَذُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ كَابْنِ حَـمْزَةَ الـمَغْرِبِيِّ.

وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ كُلِّهِ، كَانَ ابْنُ الـهَائِمِ أَدِيْباً أَرِيْباً صَاحِبَ مُظَارَفَةٍ وَمَلاحَةٍ في أُسْلُوْبِهِ الأَدَبِيِّ أَثْنَاءَ البَحْثِ وَالتَّصْـنِيْفِ، كَمَـا كَانَ عَلَى قَدرٍ عَظِيْمٍ مِنَ الـخُلُقِ الـحَمِيدِ، وَالأَدَبِ الرَّفِيْعِ، وَكَانَ يَدْعُو طُلَّابَهُ وَتَلامِذَتَهُ إِلَى التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَالتَّمَسُّكِ بِآدَابِ الشَّرْعِ قَبْلَ تَنَحُّلِهِمْ بِالعِلْمِ، وَيُعَظِّمُ الأَمْرَ بِالـمَعْرُوفِ وَالنَّهيَ عَنِ الـمُنْكَرِ، وَيَقْضِيْ مُعْظَمَ أَوْقَاتِهِ بِاللَّيْلِ أَوِ النَّهَارِ مُعَظِّمـاً شَعَائِرَ الله ﷻ، إِمَّا في عِلْمٍ أَوْ في بَحْثٍ أَوْ تَصْنِيْفٍ، أَوْ مُـجْتَهِداً في عِبَادَةٍ أَوْ ذِكْرٍ، وَقَدِ ارْتَبَطَ اسْمُهُ ارْتِبَاطاً وَثِيْقاً بِالـمَسْجِدِ الأَقْصَى وَبَيْتِ الـمَقْدِسِ مِنْ كَثْرَةِ إِقَامَتِهِ فِيْهِ.

فَمَنْ هُوَ ابْنُ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيُّ الَّذِي مَلأَ الكُتُبَ وَالـمُصَنَّفاتِ بِعِلمِهِ وَآرَائِهِ وَإِنْجَازَاتِهِ العِلْمِيَّةِ، وَالَّذِي لُقِّبَ بِالـمُعَلِّمِ؟

❁ ❁ ❁

هُوَ أَبُو العَبَّاسِ شِهَابُ الدِّيْنِ أَحْـمَدُ بْنُ مُـحَمَّدِ بنِ عِمَـادِ الدِّيْنِ بْنِ عَليٍّ، الـمَعْرُوْفُ بِابْنِ الـهَائِمِ الـمِصْرِيِّ الـمَقْدِسِيِّ، نِسْبَةً إِلَى بَلَدِهِ الَّتِي وُلِدَ وَنَشَأَ فِيْهَا أَوَّلاً، وَنِسْبَةً إِلَى القُدْسِ الَّتِي كَانَتْ إِقَامَتُهُ وَوَفَاتُهُ فِيْهَا ثَانِياً.

وُلِدَ ابْنُ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيُّ في مَدِيْنَةِ القَاهِرَةِ سَنَةَ (753) هِجْرِيَّةً، وَنَشَأَ وَتَرعْرَعَ فِيْهَا، وَأَمْضَى فِيْهَا شَطْراً كَبِيْراً مِنْ شَبَابِهِ، كَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ عَالِـمٍ إِلَى آخَرَ مُكِبّاً عَلَى العِلْمِ، يَنْهَلُ

مِنْ مَعَارِفِ عُلَمَـاءِ عَصْرِهِ، وَوَجَدَ في نَفْسِهِ مَيْلاً شَدِيْداً نَحْوَ تَعَلُّمِ أَحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ، فَعَكَفَ عَلَى دِرَاسَةِ الفِقْهِ وَأَحْكَامِ الـمَوَارِيْثِ، فَبَـرَعَ بِعِلْمِ الفَرَائِضِ وَالـمَوَارِيْثِ بَرَاعَةً لا نَظِيرَ لَـهَا بَيْنَ عُلَمَـاءِ عَصْرِهِ نَظَراً لِـمَـا بَيْنَ عِلْمِ الفَرَائِضِ وَعِلْمِ الـحِسَابِ مِنْ صِلَةٍ، فعِلْمَ الفَرائِضِ يَعْتَمِدُ اعْتِمَـاداً كُلِّيّاً عَلى عِلْمِ الـحِسَابِ، بَلْ مَا هُوَ في قِوَامِهِ إِلَّا حِسَابٌ لِـحُقُوْقِ الوَرَثَةِ في تَرِكَةِ الـمُوَرِّثِ، وَتَقْسِيْمٌ لِلْمِيرَاثِ حَسْبَ نَصِيْبِ كُلِّ وَارِثٍ بِالعَدْلِ وَالتَّسَاوِي حَسْبَ مَا نَصَّتْ عَلِيْهِ أَحْكَامُ الشَّرِيْعَةِ الغَرَّاءِ.

وَمِنْ هَذَا الـمُنْطَلَقِ، بَدَأَ اهْتِمَـامُ ابْنِ الهَائِمِ بِعِلْمِ الـحِسَابِ وَالـجَبْرِ، فَأَخَذَ يَـخُوْضُ غِمَـارَ العُلُوْمِ الرِّيَاضِيَّةِ، ويَـجُوْلُ في سَاحَاتِـهَا، وَيُـحَلِّقُ في آفَاقِهَا، وَقَدْ عُنِيَ عِنَايَةً خَاصَّةً بِعِلْمِ الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ، فَأَكَبَّ عَلى مُصَنَّفَاتِ الـمُتَقَدِّمِيْنَ، وَغَاصَ فِيْهَا شَارِحاً وَمُفَنِّداً وَمُفَسِّراً، حَتَّى ذَاعَ صِيْتُهُ بَيْنَ عُلَمَـاءِ القَاهِرَةِ كَعَالِـمٍ في أَحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ، وَرِيَاضِيٍّ حَاذِقٍ لا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ في ذَلِكَ.

أَجْبَرَتِ الظُّرُوْفُ السِّيَاسِيَّةُ وَالأَحْوَالُ الاجْتِمَـاعِيَّةُ الَّتِي مَرَّتْ بِـهَا بِلادُ مِصْرَ في تِلْكَ الفَتْرَةِ ابْنَ الـهَائِمِ عَلَى مُغَادَرَةِ القَاهِرَةِ مُتَوَجِّهاً إِلَى مَدِيْنَةِ القُدْسِ، تِلْكَ الـمَدِيْنَةُ الَّتِي لَـهَا أَثَرٌ رُوْحِيٌّ عَمِيْقٌ في نُفُوْسِ الـمُسْلِمِيْنَ، فَفِيْهَا الـمَسْجِدُ الأَقْصَى الَّذِي أُسْرِيَ مِنْهُ النَّبِيُّ الأَعْظَمُ ﷺ، وَأَوَّلُ القِبْلَتَيْنِ وَثَالِثُ الـحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، كَمَـا كَانَتْ مَدِيْنَةُ القُدْسِ مَوْئِلاً وَمَلاذاً لِلْعُلَمَـاءِ الَّذِيْنَ يضْطَرُّوْنَ إلى هِجْرَةِ بِلادِهِمْ؛ سَوَاءٌ في مِصْرَ أَوْ في بِلادِ الشَّامِ في ذَلِكَ الـحِيْنِ.

وَفي القُدْسِ عَاشَ ابْنُ الـهَائِمِ في عِزَّةٍ وَمِنْعَةٍ، وَشَرَعَ في نَشْرِ عِلمِهِ، وَنَثْرِ عِطْرِهِ

الطَّيِّب، الَّذِي اسْتَقْطَبَتْ رَائِحَتُهُ طَلَبَةَ العِلْمِ مِنْ كَافَّةِ الـمَنَاطِقِ وَالأَصْقَاعِ، وَجَلَسَ في الـمَسْجِدِ الأَقْصَى يَـجُوْدُ عَلَى النَّاسِ بِمَـا فَتَحَهُ اللهُ عَلى يَدَيْهِ مِنْ مَكْنُوْنِ الـحِكْمَةِ، وَمِنْ مَـخْزُونِ العِلْمِ، وَرُبَّمَـا وَصَلَ صِيْتُهُ العِلْمِيُّ إِلَى أَقَاصِي البِلادِ، فَقَصَدَهُ بُغَاةُ الـمَعْرِفَةِ يَنْهَلُوْنَ مِنْهُ رَوَائِعَ الـمَعْرِفَةِ في أَحْكَامِ الدِّيْنِ، وَعُلُومِ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ شُهْرَتُهُ العِلْمِيَّةُ عَلى مُسْتَوى العَالَـمِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ، فَلَقَّبَهُ النَّاسُ بِالـمُعَلِّمِ الـمَقْدِسِيِّ.

❁ ❁ ❁

ومِـمَّـا لاشَكَّ فِيْهِ أَنَّ القُرآنَ الكَرِيْمَ لَعِبَ دَوْراً كَبِيراً في دَفْعِ النَّاسِ نَحْوَ الاهْتِمَـامِ بِعِلْمِ الـحِسَابِ، وَفي بَعْثِ هِمَمِهِمْ نَحْوَ مَعْرِفَةِ هَذَا العِلْمِ وَالتَّوسُّعِ فِيْهِ، وَذَلِكَ بِمَـا صَرَفَ مِنْ خِلالِ آيَاتِهِ البَيِّنَاتِ الأَنْظَارَ وَالعُقُولَ إِلَى حِسَابِ عَدَدِ اللَّيَالي وَالأَيَّام والسِّنِيْنَ، فَقَالَ تَـعَـالَـى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12].

وَفي مِثَالٍ آخَرَ مِـمَّـا دَعَا إِلَيْهِ ربُّ العِزَّةِ النَّاسَ لِلاهْتِمَـامِ بِعِلْمِ الـحِسَابِ، فَقَالَ في حَقِّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ فِدَاءُ دَمٍ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196].

فَإِنَّ الـمَسَائِلَ وَالعَمَلِيَّاتِ الـحِسَابِيَّةَ وَضَرُوْرَةَ العَمَلِ وَالاعْتِبَارِ بِـهَا كَثِيْرَةٌ جِدّاً في القُرْآنِ الكَرِيْمِ، وَمِنْ مَـجْمُوْعِهَا كَانَتْ آيَاتُ عِلْمِ الفَرَائِضِ وَالـمَوَارِيْثِ الَّذِي هُوَ - في اعْتِبَارِهِ -

جُزْءٌ لا يَتَجزَّأُ مِنَ الـمَعَارِفِ الرِّيَاضيَّةِ، غَيْرَ أَنَّ مَا يُمَيِّزُهُ عَنْهَا هِيَ الأَحْكَامُ الفِقْهِيَّةُ الَّتِي خَصَّصَهَا الشَّارِعُ في فُرُوْضِ وَحِصَصِ الوَرَثَةِ في التَّرِكَةِ وَالـمِيْرَاثِ.

وَهَذَا مَا يُفَسِّرُ لَـنَا بِوُضُوحٍ سِرَّ اهْتِمَامِ عُلَمَـاءِ الإِسْلامِ بِعُلُومِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالـحِسَابِ، وَأَنَّ عِلْمَ الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ عِلْمٌ إِسْلامِيٌّ لَـمْ تَعْرِفْهُ الأُمَمُ وَالشُّعُوْبُ قَبْلَ الإِسْلامِ.

فَمَسَائِلُ عِلْمِ الفَرَائِضِ وَالـمِيْرَاثِ الَّتِي هِيَ مَسَائِلُ حِسَابِيَّةٌ في الدَّرَجَةِ الأُوْلَى تَعْتَمِدُ عَلَى الـجَمْعِ وَالطَّرْحِ وَالقِسْمَةِ وَالضَّرْبِ، أَيْ: عَلى الـمَبَادِئِ الأُولَى لِعِلْمِ الـحِسَابِ، دَعَتْ عُلَمَـاءَ الإِسْلامِ إِلَى ابْتِكَارِ عِلْمِ الـجَبْرِ تَسْهِيْلاً لِـحَلِّ الـمَسَائِلِ الفَرَضِيَّةِ في الـمَوَارِيْثِ. ومِنْ هُنَا كَانَ اهْتِمَـامُ ابْنِ الـهَائِمِ بِعِلْمِ الـحِسَابِ وَالـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ.

وَكَمَـا قَالَ أَحَدُ البَاحِثِيْنَ الـمُعَاصِرِيْنَ: «إِنَّ شُهْرَةَ ابْنِ الـهَائِمِ الـمَقْدِسِيِّ تَتَجَلَّى في ابْتِكَارِهِ طُرُقاً مُبَسَّطَةً لِعَمَلِيَّاتِ ضَرْبِ الأَعْدَادِ (فَمَثَلاً يَكُونُ ضَرْبُ أَيِّ عَدَدٍ في خَـمْسَةَ عَشَرَ بِجَمْعِ نِصْفِ قِيْمَةِ ذَلِكَ العَدَدِ إِلَيْهِ ثُمَّ الضَّرْبُ في عَشَرَةٍ)، وَلَقَدْ أَوْدَعَ هَذِهِ الطَّرِيْقَةَ في كِتَابِهِ الـمَعْرُوْفِ وَالـمَشْهُورِ «اللُّمَعِ في الـحِسَابِ» وَهِيَ رِسَالَةٌ تَـجْمَعُ بَيْنَ العِلْمِ وَالأَدَبِ، وَقَدْ قَامَ بِشَرْحِهَا تِلْمِيذُهُ سِبْطُ الـمَـارْدِيْنِيُّ».

كَمَـا كَانَ ابْنُ الـهَائِمِ مُوْلَعاً إِلَى حَدٍّ كَبِيْرٍ بِالبَحْثِ وَالتَّـحْقِيْقِ، وَالشَّرْحِ وَالتَّعْلِيْقِ عَلَى تَصَانِيْفِ الـمُتَقَدِّمِيْنَ، فَقَدْ شَرَحَ أُرْجُوْزَةَ ابْنِ الياسَمِيْنِ في الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ، وَبَيَّنَ أَنَّ فِيْهَا مَعْلُومَاتٍ قَيِّمَةً عَنِ الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ، فَاسْتَفَادَ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ مُعَاصِرُوْهُ وَتَلامِيْذُهُ في عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ.

وَابْنُ الياسَمِيْنِ هُوَ عَالِـمٌ عَربيٌّ بَرَعَ في عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالـهَنْدَسَةِ وَالـحِسَابِ وَالعَدَدِ وَالـهَيْئَةِ وَالـمَنْطِقِ، وَكَانَ شَاعِراً مُتَمَكِّناً في النَّظْمِ.

عَاشَ في مُرَّاكشَ، وَذَاعَ صِيْتُهُ كَعَالِـمٍ بَارِعٍ في العُلُومِ وَالأَدَبِ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ وَلَعِهِ بِالـجَبْرِ إِلَى إِبْدَاعِ تَعْرِيْفِ مَفْهُوْمَي الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ بِشِعْرٍ مَتِيْنٍ وَسَهَلٍ وَوَاضِحٍ في مَدِيْنَةِ إِشْبِيْلِيَّةَ بِالأَنْدَلُسِ عَامَ (587) هِجْرِيَّةً، وَقَدِ اعْتَبَرَهَا مُؤَرِّخُو الرِّيَاضِيَّاتِ العَمَلَ الأَسَاسِيَّ في دِرَاسَةِ الـجَبْرِ، فَفِيْهَا خُلاصَةُ الكَثِيرِ مِنَ الـمَبَادِئِ وَالقَوَانِيْنِ وَالطُّرُقِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ في الـحِسَابِ وَحَلِّ الـمَسَائِلِ وَالـمُعَادَلاتِ الـجَبْرِيَّةِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهَا كُتُبُ الـجَبْرِ الـحَدِيْثَةُ.

❋ ❋ ❋

لَقَدْ تَـمَيَّزَ ابْنُ الـهَائِمِ بِطَرِيْقَةِ تَدْرِيْسِهِ، وَعُرِفَ بِالـمُعَلِّمِ، وَقَدَّرَهُ تَلامِيْذُهُ، وَأَجَلُّوْهُ، وَحَاوَلُوا تَقْلِيْدَهُ، كَمَا كَانَ عَالِـماً تَقِيّاً وَرِعاً، يَنْسُبُ نَجَاحَهُ دَائِماً إِلَى تَوْفِيقِ اللهِ ﷻ وَفَضْلِهِ وَمِنَّتِهِ.

يَقُولُ مَعَالي الدُّكْتُوْر عَلِي عَبْدُ الله الدفاعُ في كِتَابِهِ (تَارِيْخ العُلُوْمِ البَحْتَةِ في الـحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ): إِنَّهُ زَارَ الـمُوْصِلَ، وَحَصَلَ مِنْ مَكْتَبَةِ الأَوْقَافِ العَامَّةِ على كتاب تَـحْتَ اسْم (رِسَالَةِ الـمُسَمَّعِ في شَرْحِ الـمُقَنَّعِ) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شَرْحٍ لِكِتَابِ (الـمُقَنَّعِ في الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ) وَقَدِ اسْتَهَلَّهُ ابْنُ الـهَائِمِ بِقَوْلِهِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْـمَنِ الرَّحِيْمِ، أَمَّا بَعْدُ: حَـمْداً للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى رَسُوْلِ الله، فَالغَرَضُ اخْتِصَارُ الـمُقَنَّعِ...».

وَقَدْ ذَكَرَ قَدْرِي طُوْقَان في كِتَابِهِ (تُرَاث العَرَبِ العِلْمِيّ في الرِّيَاضِيَّاتِ وَالفَلَكِ) أَنَّ رِسَالَةَ ابْنِ الـهَائِمِ (اللُّمَع في الـحِسَابِ) تَـحْتَوي عَلى ثَلاثَةِ أَبْوَابٍ:

البَابُ الأَوَّلُ: في ضَرْبِ الصَّحِيْحِ في الصَّحِيْحِ، وَيَتَكَوَّنُ مِنْ أَرْبَعَةِ فُصُوْلٍ، وَالفَصْلُ الرَّابِعُ مِنْهُ طَرِيْفٌ يَـحْتَوِي عَلَى كَثيرٍ مِنَ الـملَحِ الرِّيَاضِيَّةِ في الاخْتِصَارِ، وَفي ضَرْبِ أَعْدَادٍ خَاصَّةٍ في أَعْدَادٍ أُخْرَى دُوْنَ إِجْرَاءِ عَمَلِيَّةِ الضَّرْبِ، ويَقُوْلُ في ذَلِكَ: «وَلِلضَّرْبِ وُجُوهٌ كَثِيْرَةٌ وَمُلَحٌ اخْتِصَارِيَّةٌ»، ثُمَّ يُوْرِدُ طُرُقاً مُتَنَوِّعَةً لِكَيْـفِيَّةِ ضَرْبِ الكَمِّيَّاتِ بِاخْتِصَارٍ وَسُرْعَةٍ.

البَابُ الثَّانِي: في القِسْمَةِ، وَيَتَكَوَّنُ مِنَ مُقَدِّمَةٍ وَفَصْلٍ، وَالـمُقَدِّمَةُ تَبْحَثُ في قِسْمَةِ الكَثِيْرِ عَلَى القَلِيْلِ، وَالفَصْلُ في قِسْمَةِ القَلِيْلِ عَلَى الكَثِيْرِ.

البَابُ الثَّالِثُ: وَيَتَكَوَّنُ مِنْ مُقَدِّمَةٍ وَأَرْبَعَةِ فُصُوْلٍ.

وَيُشِيْرُ البَاحِثُونَ إِلَى أَنَّ طَرِيْقَةَ اخْتِصَارِ العَمَلِيَّاتِ الـحِسَابِيَّةِ في الـجَمْعِ وَالضَّرْبِ لِلأَعْدَادِ مَعَ بَعْضِهَا البَعْضِ، مَهَّدَتْ لِظُهُورِ اللُّوْغَارِيتـمِ فِيْـمَـا بَعْدُ عَلَى يَدِ العَالِـمِ العَرَبِيِّ ابْنِ حَـمْزَةَ الـمغربيِّ تِلْمِيْذِ ابْنِ الـهَائِمِ.

فَقَدْ عَمَدَ ابْنُ حَـمْزَةَ إِلَى تَطْوِيرِ عَمَلِيَّةِ اخْتِصَارِ الـمَسَائِلِ الـحِسَابِيَّةِ في جَـمْعِ الأَعْدَادِ وَضَرْبِـهَا مَعَ بَعْضِهَا بَعْضاً الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنْ أُسْتَاذِهِ ابْنِ الـهَائِمِ، وَتَوَصَّلَ عَنْ طَرِيْقِ هَذَا التَّطْوِيْرِ وَالتَّوَسُّعِ إِلى اكْتِشَافِ مَا سَمَّـاهُ العُلَمَـاءُ فِيْمَـا بَعْدُ بِعِلْمِ اللُّوْغَارِيتم.

وَالـلُّوْغَارِيتمُ: هُوَ أَرْقَامٌ يُطْلَقُ عَلَيْهَا في عِلْمِ الـجَبْرِ اسْم الأَدِلَّةِ أَوِ الأُسُسِ، وَهُوَ مِنَ النَّاحِيَةِ العَمَلِيَّةِ طَرِيْقَةٌ رِيَاضِيَّةٌ لِـحَلِّ مَسْأَلَةٍ رِيَاضِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ (هَنْدَسِيَّةٍ أَوْ جَبْرِيَّةٍ) بِاسْتِخْدَامِ

أُسْلُوْبٍ حِسَابِيٍّ أَبْسَطَ، وَيُطْلَقُ مُصْطَلَحُ اللُّوْغَارِيتْمَاتِ الآنَ عَلى أَنْوَاعٍ عَدِيْدَةٍ مِنْ حَلِّ الـمَشَاكِلِ بِاسْتِخْدَامِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الـخُطُواتِ الـمِيْكَانِيْكِيَّةِ كَمَا هُوَ الـحَالُ في تَنْصِيْبِ بَرنَامِجِ كُمْبيُوْتَر، وَقَدْ تُعْرَضُ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ في مُـخَطَّطِ مَسَارِ البَرْنَامِجِ بِحَيْثُ يَسْهُلُ اتِّبَاعُ الـخُطُوَاتِ الوَارِدَةِ بِـهَا.

❋ ❋ ❋

إِلَى جَانِبِ لَقَبِ الـمُعَلِّمِ الَّذِي حَازَهُ ابْنُ الـهَائِمِ بِسَبَبِ مَا عُرِفَ بِهِ مِنْ مَعْرِفَةٍ رَاسِخَةٍ في عِلْمِ الـحِسَابِ وَالـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ، فإِنَّهُ أَيْضاً لَقَّبَهُ مُعَاصِرُوهُ بِالفَرَضِيِّ؛ لِـمَا عُرِفَ بِهِ مِنْ ضُلُوْعِهِ وَبَرَاعَتِهِ في عِلْمِ الفَرَائِضِ وَالـمَوَارِيْثِ، فَلا يَـخْلُو كِتَابٌ أَوْ مَرْجِعٌ في عِلْمِ الـمَوَارِيْثِ مِـمَّا صَنَّفَهُ العُلَمَاءُ بَعْدَ عَصْرِ ابْنِ الـهَائِمِ إِلَّا وَتَـجِدُ في ثَنَايَا سُطُوْرِهِ وَصَفَحَاتِهِ آرَاءَ ابْنِ الـهَائِمِ وَأَقْوَالَهُ، إِضَافَةً إِلَى الـمُصَنَّفَاتِ العَدِيْدَةِ الَّتِي تَرَكَهَا في هَذَا العِلْمِ، وَيُمْكِنُنَا إِجْـمَـالُ مَا كَتَبَهُ وَمَا صَنَّفَهُ ابْنُ الـهَائِمِ عَلى النَّحْوِ التَّالي:

1 ـ كِتَابُ مُرْشِدِ الطَّالِبِ إِلَى أَسْنَى الـمَطَالِبِ في عِلْمِ الـحِسَابِ.

2 ـ كِتَابُ غَايَةِ السُّولِ في الإِقْرَارِ بِالـمَجْهُوْلِ: وَيَتَضَمَّنُ حُلُولاً جَـمَّةً في الـمَسَائِلِ الرِّيَاضِيَّةِ الـخَاصَّةِ في الـحِسَابِ وَالـمُقَابَلَةِ وَالـجَبْرِ كَانَتْ قَدِ اسْتَعصَتْ عَلى العُلَمَـاءِ.

3 ـ كِتَابُ الـمَعُوْنَةِ في الـحِسَابِ الـهَوَائِيِّ: وَيَبْحَثُ في طُرُقِ الـحِسَابِ الَّذِي لا يَـحْتَاجُ إِلَى اسْتِخْدَامِ الوَرَقِ وَالقَلَمِ.

4 ـ كِتَابُ الـمُقَنَّعِ: وَهُوَ قَصِيْدَةٌ تَـحْتَوِي عَلَى اثْنَيْنِ وَخَـمْسِيْنَ بَيْتاً حَوْلَ الـجَبْرِ

وَالـمُقَابَلَةِ، كَمَـا وَضَعَ عَلَيْهِ شَرْحاً أَسْمَـاهُ (الـمُسَمَّع في شَرْحِ الـمُقَنَّعِ في الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ)، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الدُّكْتُوْر عَلي الدفاع.

5 ـ رِسَالَةُ اللُّمعِ في الـحِسَابِ.

6 ـ كِتَابٌ في الـجَبْرِ الـمُتَقَدِّمِ.

7 ـ كِتَابُ الـمُخْتَصَرِ الوَجِيْزِ في عِلْمِ الـحِسَابِ.

8 ـ كِتَابُ أَسْنَانِ الـمفْتَاحِ؛ وَهُوَ مُـخْتَصَرٌ لِلْحِسَابِ الـهَوَائِيِّ.

9 ـ كِتَابٌ مُـخْتَصرٌ في عِلْمِ الـحِسَابِ الـهَوَائِيِّ.

تُوُفِّيَ ابْنُ الـهَائِمِ في القُدْسِ سَنَةَ (815) هِجْرِيَّةً، وَقَبْرُهُ مَعْرُوْفٌ فِيْهَا.

الأَسْئِلَةُ وَالـــمُنَاقَشَةُ

1 ـ مَاذا نَـهَجَ ابْنُ الـهَائِمِ؟

2 ـ لِـمَـاذَا كَانَ لِـمَدِيْنَةِ القُدْسِ أَثَرٌ رُوْحِيٌّ في نُفُوْسِ الـمُسْلِمِيْنَ؟

3 ـ هُنَاكَ طَرِيْقَةٌ في عِلْمِ الـحِسَابِ اشْتُهِرَ بِسَبَبِهَا ابْنُ الـهَائِمِ؛ مَـا هِيَ؟

4 ـ كَيْفَ تُفَسِّرُ سِرَّ اهْتِمَـامِ عُلَمَـاءِ الإِسْلامِ بِعِلْمِ الـحِسَابِ؟

5 ـ مَنْ هُوَ ابْنُ اليَاسَمِيْنِ؟ وَكَيْفَ عَرَّفَ عِلْمَ الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ؟

6 ـ مَا هِيَ أَهَمُّ صِفَاتِ ابْنِ الـهَائِمِ؟

7 ـ مَا هُوَ عِلْمُ اللُّوْغَارِيتْمِ؟ وَعَلى مَاذَا يُطْلَقُ الآنَ؟

8 ـ إِلى مَاذَا عَمَدَ ابْنُ حَـمْزَةَ الـمَغْرِبِيُّ؟